لقاء أدبي مع : غبريل غارسيا ماركيز

ترجمة : رنا إدريس

* **سؤال**[1] : ما الذي يثير فيك رغبة الكتابة : الصورة أم الايقاع ؟

* **جواب** : صورة ما . هناك دائماً ، في بادىء الأمر ، صورة ، وهي تنفصل غالباً عن كلّ حكاية ، وعن كلّ حجّة . وتكون أولاً خليّة مستقلة تأخذ أحياناً بالتوالد ، لست أدري كيف ولماذا . فيمكنها ، مهما تكن طفيفة ، أن تحتوي وعد تطوّر ما ، وأن تصبح ، بالحرف الواحد ، « أسطورية » . وتكون ، في بعض الأحيان ، خالية من أيّة قيمة ، إلى حدّ أنها لن تعني لأحد غيري شيئاً . ليس التجريد امتيازي ، ولا أحبّ أن أصنع نظريات . لذلك سأعطيكم مثلاً : ذات مساء ، في المكسيك ، أردت أن استقل سيّارة أجرة ، ورأيت واحدة تسير باتجاهي . وفي اللحظة نفسها التي أردت فيها أن أومىء لها ، امتنعت عن ذلك لأنني لاحظت أن شخصاً ما كان بقرب السائق . لكنني لاحظت ، عندما اقتربت السيارة كثيراً منّي ، أنها كانت خالية من الركاب ، وانتهى بي الأمر بأن استقلها . أخبرت السائق بذلك الوهم البصري الذي كنت ضحيّته . فقال لي عندئذٍ ، بلهجة جدّية ، إن ركاباً آخرين قالوا له الشيء نفسه . وأضاف بأنه غالباً ما تمضي الليلة بأكملها دون أن يحصل على راكب واحد . أخبرت « بونوييل » بالأمر فقال لي ، وأذكر ذلك ، إن هذا هو دون ريب شيء مهم جداً ـ كان يفكر بالفائدة التي يمكنني استخدامها أدبياً . غير أن تلك الصورة بقيت دون غدٍ ، لكنها تلازمني وأفكّر بها غالباً .

يجب القول إن عندي مخزناً للصور حقيقياً . فتلك الصور ، إذا صحّ القول ، قد بدأت بالنموّ ، وباتخاذ نوع من الصلابة . وفي اليوم الذي أبدأ أشعر فيه بتلك اللهفة للكتابة ، التي فوق ذلك أدافعها بقدر ما استطيع ، أفتح هذا الدرج حيث أكدّس الملاحظات ، فأخرج عشراً منها ، أقرأها وأعتقد أن الوقت مناسب لأتخيل ، انطلاقاً من ذلك ، قصة منها بالذات ، لا من غيرها . وبالرغم من أنني عبثاً ما أعاند أحياناً ، فإن ما كان يوقف عملي إنما هي صور أخرى ، صور كنت قد وجدت أنها الأقلّ إغراءً لي والأكثر إهمالاً . وقد تعلّمت منذ زمن طويل أنني لم أكن أختار الصورة التي سأطوّرها والقصة التي سأرويها ، بل هي التي كانت تختارني . أعني بذلك أنني أجهل ما الذي ، في نفسي ، يجعلني أميل إلى تلك الصورة دون سواها . لقد تعرّفت سابقاً على صبيّ مغرم بفتاة لم تكن تريده . وعندما بلغ به الأمر أنه لم يعد يستطيع مغازلتها ، بسبب أنها لم تكن تدعه يقترب منها ، استقرّ بصراحة ، ليلاً نهاراً ، على عتبة بيت حبيبته . واذ لم ينجح أحد بترحيله ، أفرغوا عليه ، عدة مرات ، دلواً مليئاً بالبول . فكان يعود إلى منزله ، ليستحمّ ويبدّل ملابسه ويرجع ليحتلّ مكانه . ووصل به الأمر إلى أن يرموا فوق رأسه الغائط . . . دون أيّة نتيجة سوى رؤيته يعود نظيفاً متألقاً وصبوراً . وهي اليوم زوجته . إنهما زوجان سعيدان . هكذا الأمر مع بعض الحكايات ، لا نريدها ، لكنها تفرض نفسها . وأعتقد أنني سأكتب كتاباً بعنوان بسيط : « كيف نكتب رواية » . يجب علينا ألا نكتب إلّا ما لا نستطيع الهرب منه ، بالرغم من جميع تحفُّظاتنا وخدعنا .

* **سؤال** : اذاً ، الأفضلية للصورة . ومع ذلك فإن الايقاع من الوضوح في نثرك بحيث يبدو أنه يستدعي القصة .

* **جواب** : كنت أفكّر بذلك . . . صحيح أن الايقاع أساسي بالنسبة لي ، وأعتقد أن تغيراً ما في الايقاع يمكنه أن يكون في مغزاه بمثل أهميّة تفسير مفصّل (يجب عليّ الاعتراف بأنه يتّفق لي أن أضيف كلمة مجانيّة لكي أملأ إيقاعاً ما ، وأن أصبح مجبراً فيما بعد على أن أبرّر تلك الكلمة) واذا فكرت بالقصص التي كتبتها في سنّ المراهقة ، فلا بدّ من الإقرار بأن الايقاع كان هو مولّدها . كان ذلك ما كنت أسعى اليه . كنت قد تغذّيت بأشعار القرن التاسع عشر الاسبانيّة ، بشعراء رديئين ، أمثال « مونس دي

(١) نقلاً عن مجلة « لونوفيل أوبسرفاتور » الفرنسية ، العدد ٩٩٨ ، بقلم هكتور بيانكيوتي .

اركي » و « اسمبروسيدا » . . . الذين كتبوا هم أيضاً ، لنقل ذلك بين هلالين ، أبياتاً لم تكن رديئة قط . ولكن لماذا نقرأ الشعراء الرديئين ؟ لأن بلاهاتهم تختفي تحت عَروض جيّد ، بل حتى تحت إيقاع يعطيها وزناً ويجعلها ، بطريقة ما ، صحيحة وحقيقيّة . إلى جانب ذلك كنت أقرأ ، من بين رومانطيقيي اللغةالاسبانيّة ، « بكير » وهو شاعر عظيم . أقول إنه يعادل « شوبان » ، أحد أكبر المؤلفين في تاريخ الموسيقى . وأنا أعلم أن الناس متحفّظون تجاه « شوبان » ، وأرى في هذا الموقف نوعاً من التعالي الذكوري .

* **سؤال** : في كتاب « خريف البطريرك » ، يظهر لي تأثير الكاتب النيكاراغوي « روبن داريّو » .

* **جواب** : وكيف لا ! إن هذه الرواية تحيّة « لداريّو » الذي ، في آخر القرن التاسع عشر ، تغذّى « بفرلين » و « هوغو » والبرناسيين ، وصنع اكبر ثورة في الآداب الاسبانيّة . والحال أن هناك سبباً آخر لكتابة « خريف البطريرك » ، وأنا أفكّر أيضاً بداريّو : كان معاصراً لازدهار الديكتاتوريين الكبير في أمريكا اللاتينيّة . لم يكن « داريّو » ثورياً كمواطن ، ولكنه كان ثورياً كبيراً كشاعر . مؤخراً ، كرّست الصحيفة المكسيكيّة « واحد زائد واحد » ملحقاً لأشعار كتبها السنديينون . والحق أننا نجد بين أولئك الشعراء كثيراً من ممثلي الحكومة ورجالاً يحكمون الآن النيكاراغوا ويطالبون « بروبن داريّو » . وقد أسعدني ذلك كثيراً ، وهو علامة حرية وذكاء . . . حتى اليوم ، كان « داريّو » مشبوهاً ، قليلاً « كشوبان » ، إذا أردت .

* **سؤال** : في الحقيقة ، أنت تتكلّم عن كلمة هي أيضاً مشبوهة : كلمة « أسلوب » .

* **جواب** : بالطبع ، الأسلوب ، الشكل ، الأدب . كل ذلك يعني تقريباً الشيء نفسه . إن الأدب هو شيء أشعر به بطريقة ماديّة تتعلّق بأشياء لاوزنيّة ، يصعب تحديدها ، ولكنها تتطلّب عملاً عنيداً . واليوم ، في كثير من الأحيان نسمع البعض يقولون إن علينا أن نكتب ما نفكّر به ، بالوسائل التي نملك ، وان علينا أن نكتب بطريقة « طبيعيّة » . أما أنا ، فادهش الناس عندما أقول إنني أعمل مستعيناً بالمعاجم وأنني ألجأ الى قاموس المترادفات . ولكن الصعوبة الكبرى ، في نظري ، وما يجعل نصاً ما ينتمي الى الأدب أم لا ، انما هو النعت ، وموضع النعت . لنفترض ، مثلاً ، أنني أصف قرية معفّرة ، خالية ، تحت شمس محرقة ، في ساعة القيلولة عندما تبدو القرية مهجورة ، ثم أصف امرأة تتقدّم ، في شارع ساحته خالية ، وهي ترتدي السواد . اذا كتبت كيفما كان ، فسألصق نعتاً للشمس ، للحرارة ، للغبار ، الخ . . . ولكني اذا اكتفيت بتعداد الأشياء ، ووضعت في آخر الجملة ، نعتاً لسواد ملابس المرأة ، هو مثلاً « قاسٍ لا يرحم » ، فانني أستدعي ، دفعة واحدة ، كل ما عددت : الشمس ، القرية

Gabriel García Marquez

المهجورة ، الحرارة ، الخ . . . وأعطي فجأة ، بطريقة غير منتظرة ، كثافة للمجموع . فالأدب ، بالنسبة لي ، هو هذا . إنه يعتمد على شيء يكون مهملاً في المظهر ، مجانّياً ، صفة ، ويعتمد على أشياء صغيرة كالنعت والايقاع .

* **سؤال** : كان « أوسكار وايلد » يقول : انه بعد « دوستويوفسكي » ، لا يبقى لنا سوى النعت .

* **جواب** : لقد كان على حق ، ماذا يمكننا أن نضيف ، في تحليل الطبيعة البشريّة ، بعد « دوستويوفسكي » ؟ من أجل ذلك أخشى الترجمات . يكفي شيء تافه ، نعت لا يُترجم ، حتى يهرب الأدب . ماذا يبقى عندئذٍ ؟ الحكاية ؟ أما ما يميّز كاتباً عن آخر فهو النعت ، هو طريقته في رؤية الواقع ، هو نبرته وصوته . أما بالنسبة للإيقاع ، فيمكننا أن نجد إيقاعاً آخر يلائم اللغة التي تُرجم اليها الكتاب ، وينتهي الأمر . . . وقد يكون ذلك هو

السبب الذي أثار استغرابي ذات يوم ، عندما كنت أتكلّم مع يابانيّ حول كتاب « مئة عام من العزلة » . كان قد قرأه بلغته ، في ترجمة أخذت عن الترجمتين الفرنسية والانكليزية . ومع ذلك فقد كنا نتكلم عن الكتاب نفسه .

* **سؤال** : ذلك لأنك روائي ، بالإضافة لكونك كاتباً أنيق العبارة .

* **جواب** : ربما ، ولكن الحكايات ، لو رويتها مباشرة كما سمعتها ، (وما أكثر ما سمعت منها !) أو تخيّلتها ، فلن تكون سوى ملاحظات في نظري . إنني أحب الكلمات ، والتلوين الخاص الذي تصطبغ به ، فيما تبقى هي نفسها ، عند الكتّاب المختلفين . انني أحب كثيراً هذا النوع الوسيط بين الحكاية والرواية الذي يسمى « NOUVELLE » ، بالفرنسية (أي قصة قصيرة) . كان « ميغال دي أونامونو » قد اقترح ، على ما أذكر ، أن تسمى القصص القصيرة ، « نوفيليتاس » ، لأن تلك الكلمة لا توجد بالاسبانيّة . ولكن الكلمة قبيحة الى حدّ أنني أفضل أن لا يوجد هذا النوع قط إذا وجب علينا أن نسمّيه بهذه الطريقة .

* **سؤال** : في الواقع ، هل تساءلت لماذا تنعم كتبك بهذا العدد الكبير من القرّاء في العالم كلّه ؟ هل لأنها تحتوي على عنصر خياليّ أو (ولو كان الاستعمال غير موفّق) عنصر شاعري ؟

* **جواب** : لست أدري ، ولا أستطيع فهم ذلك . ولكن اذا أردت أن أعطي تفسيراً ، لكنت أميل إلى الشعر . ذلك أن رواياتي تنشد الشعر . إنني أحب الروايات الشاعرية ، ولذلك أحب « فرجينيا وولف الى هذا الحد .

* **سؤال** : أنت ، من بين الروائيين ، الأندر . . .

* **جواب** : لماذا ؟ أنا أعلم ذلك ، ولكن لماذا ؟ ما الذي يأخذون عليها ؟

* **سؤال** : أنها لم تستطع ابداع « شخصيات » ، اننا لا « نرى » تلك الشخصيات .

* **جواب** : بالنسبة لي ، حتى الشخصيات التي لا نراها ، كتلك الشخصية التي تعود من الهند في كتاب « مستر دالووي » ، فأنا أراها ، إنها حيّة . وأنا أتذكّر كلمتها ، لأنها كانت تدري تماماً ما كانت تصنع ، ما كانت تريد أن تنجح فيه : « ليست الحياة مجموعة فوانيس مصفوفة بتناسق ، بل هي هالة مضيئة ، مغلّف نصف شفّاف نكون محبوسين داخله منذ ولادة وعينا حتى الموت » . لقد وصفت ذلك ، وهذا شعر ، ولكنها الحياة نفسها أيضاً ، فهي بالتالي من الرواية .

* **سؤال** : عندما اكتُشف في فرنسا أدب أمريكا الجنوبية . . .

* **جواب** : أن يتكلّم المرء عن أدب أميركا الجنوبيّة ، فذلك منافٍ للعقل قليلاً . . . فهناك « عدة آداب » فيها ، أليس هذا صحيحاً ؟

* **سؤال** : . . . كانت تستعمل دائما العبارات نفسها لتصنيفه : متدفّق ، أرضيّ ، استوائيّ ، الخ . . . واليوم تستعمل كلمة واحدة لا يمكن أن تكون أكثر اصطلاحيّة : الباروكيّة . هل أنت ، يا غارسيا ماركيز ، كاتب باروكي ؟

* **جواب** : كان « بورغيس » ، ذات يوم في « بونوس آيرس » يجتاز طريقاً ما ، فأوقفه مارّ وصاح : « أنت بورغيس » . فأجاب «بورغيس» : « أحياناً » . ذلك جميل ، أليس كذلك ؟

* * * *

دار الآداب تقدم

- زوربا
  نيكوس كازنتزاكي ـ ترجمة جورج طرابيشي
- العراب
  ماريو بوزو
- الموت السعيد
  البير كامو ـ ترجمة عايدة مطرجي ادريس
- الغريب وقصص اخرى
  البير كامو ـ ترجمة عايدة مطرجي ادريس
- قصة حب
  اريك سيغال
- قصة اوليفر
  اريك سيغال
- الموت حبا
  بيار دوشين
- صورة الفنان في شبابه
  جيمس جويس ـ ترجمة ماهر البطوطي
- الجحيم
  هنري باربوس ـ ترجمة جورج طرابيشي
- الشوارع العارية
  فاسكو براتوليني ـ ترجمة ادوار الخراط
- الصخب والعنف
  وليم فوكنر ـ ترجمة جبرا ابراهيم جبرا